

الأمام أبو يوسف القضاة

حقوق الشيوخ والمسنين

فى ضوء شريعة الإسلام

مكتبة وهب

١٤ شارع الجمهورية - عابدين

القاهرة تليفون: ٢٣٩١٧٤٠

فاكس: ٢٣٩٠٣٧٤٦

اسم الكتاب: حقوق الشيوخ والمسنين
في ضوء الشريعة الإسلامية
اسم المؤلف: الإمام يوسف القرضاوي
الطبعة الثانية ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م
مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية -
عابدين - القاهرة
٢٢ صفحة ١٤ × ٢٠ سم
رقم الإيداع: ١٩٧٧/٠٤
التقييم الدولي: I.S.B.N. :
977-225-181-7

تذير

جميع الحقوق محفوظة لمكتبة وهبة
(للطباعة والنشر) . غير مسموح بإعادة
نشر أو إنتاج هذا الكتاب أو أى جزء
منه ، أو تخزينه على أجهزة
استرجاع أو استرداد إلكترونية ،
أو ميكانيكية ، أو نقله بأى وسيلة
أخرى ، أو تصويره ، أو تسجيله على
أى نحو ، بدون أخذ موافقة كتابية
مسبقة من الناشر .

All rights reserved to Wabbah Publisher.
No Part of this Publication may be
reproduced, stored in a retrieval
system, or transmitted, in any form or
by any means, electronic, mechanical,
photocopying, recording or otherwise,
without the prior written permission of
the publisher .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين،
وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

(أما بعد)

فهذه محاضرة عن حقوق الشيوخ والمسنين في ضوء
تشريعات الإسلام وتوجيهاته الربانية، ألقيتها في (الكويت)
بطلب من المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، افتتحت بها ندوتها
حول هذا الموضوع نفسه، الذى يحتاج الناس فيه إلى أن يعرفوا
موقف الإسلام الصحيح، ليسيروا على هديه، ويهتدوا بنهجه
القويم « ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » .

وقد نشرتها المنظمة جزاها الله خيراً منفردة، وضمن
مجموعة أعمال المؤتمر .

وقد رأيت أن أنشرها ضمن سلسلة محاضراتي، لتعميم
النفع بها، عسى أن يكون فيها تبصرة وتذكرة، ورحم الله امرءاً
أهدى إلى أخيه كلمة طيبة، تدله على هدى، أو ترده عن ردى .
وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

يوسف القرضاوى

القاهرة فى : ربيع الآخر ١٤٢٣هـ

يونيو ٢٠٠٣م

حقوق الشيوخ والمسنين في ضوء شريعة الإسلام

● الشيخوخة مرحلة طبيعية :

الشيخوخة مرحلة طبيعية من مراحل العمر الإنساني الأربعة: الطفولة، ثم الشباب، ثم الكهولة، ثم الشيخوخة. وكما أن كل شيء في هذا العالم يتغير بمؤثرات شتى. وكما تؤثر عوامل التحات والتعرية في الطبيعة المادية يؤثر مضي السنين وأحداث الزمن في الإنسان، فيشيخ الشاب، ويضعف القوى، ويمرض الصحيح. كما قال الشاعر العربي قديماً:

أشباب الصغير وأفتى الكبير كرُّ الغداة ومر العشى
وقال الآخر :

طول الليالي أسرع في نقضى نقضى كلى، ونقضن بعضى

والوصول إلى الشيخوخة أمر حتمى - وفق سنة الله - إذ قدر للإنسان أن يسلم من الموت في طفولته وفي شبابه أو في كهولته. كما أشار إلى ذلك القرآن حين قال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ

لَتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شِيُوخًا وَمِنْكُمْ مَن يَتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ
وَلَتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ [غافر: ٦٧].

فأشارت الآية الكريمة إلى المرحلة الجنينية (النفطة
والعلقة) ثم مرحلة الطفولة، ثم مرحلة بلوغ الأشد (وتشمل
الشباب والكهولة) ثم مرحلة الشيخوخة.

● الرد إلى أرذل العمر

وأشار القرآن الكريم في آيتين أخيرين إلى مرحلة من
الشيخوخة المتأخرة عبر عنها بـ (أرذل العمر) كما في قوله
تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَن يَرُدُّ إِلَى أَرْذَلِ
العمرِ لِكِي لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾
[النحل: ٧٠].

وكذلك جاء في سورة الحج: ﴿وَمِنْكُمْ مَن يَتَوَفَّى وَمِنْكُمْ
مَن يَرُدُّ إِلَى أَرْذَلِ العَمْرِ لِكِي لَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾
[الآية: ٥].

وأرذل العمر هو أرذؤه، وهو الذي يصيب المرء فيه الوهن
في العظم، والضعف العام في البدن، وخصوصاً حواس السمع
والبصر، والضعف في الذاكرة، والخرف في العقل، حتى يعود
إلى حالة أشبه بحالة الطفولية، ويصبح كلاً على غيره. حتى
إن رجليه لم تعودا تقويان على حمله، كما قال القائل:

وكنت أمشى على رجلين معتدلاً

فصرت أمشى على أخرى من الشجر!

وقال ابن عباس فى تفسير أرذل العمر: يعنى: أسفل العمر، يصير كالصبي الذى لا عقل له^(١).

وهذا ما جعل النبى ﷺ يستعيذ بالله من أن يرد إلى أرذل العمر. كما روى عنه سعد بن أبى وقاص - رضى الله عنه - قال: «تعوذوا بكلمات كان النبى ﷺ يتعود من: اللهم إني أعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وعذاب القبر»^(٢).

وقد روى البخارى من حديث عائشة وأنس أنه ﷺ كان يستعيذ بالله تعالى فيما يستعيذ به من (الهرم) أى الشيخوخة مطلقاً، وهو محمول على أن المراد به: أرذل العمر، كما أشار إلى ذلك البخارى فى أحد تراجمه^(٣).

(١) تفسير القرطبي: ١٠/١٤٠.

(٢) رواه البخارى فى (الدعوات) برقم (٦٣٧٤ و ٦٣٧٠)

البخارى مع الفتح طبعة السلفية.

(٣) انظر: ترجمة الباب (٤٢) فى كتاب الدعوات، وفيه حديث

أنس (٦٣٧١) وانظر: حديث عائشة (٦٣٧٥).

ولكن ما أرذل العمر؟ وأى سن يعتبر أرذل العمر؟
العرب فى أشعارهم كانوا يشيرون إلى سن الثمانين،
كقول زهير بن أبى سلمى فى معلقته الشهيرة:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش
ثمانين حولاً لا أباً لك يسأم

وقال الآخر يشكو من ضعف سمعه:

إن الثمانين - وبلغتُها

قد أحوجت سمعى إلى ترجمان

والواقع أن أرذل العمر يختلف باختلاف الناس من حيث
بنيتهم البدنية، ونشأتهم، وطعامهم وشرابهم ونوع عملهم
وسلوكلهم، وممارستهم للرياضات المختلفة.

ومهما يكن، فإن طول العمر الزائد يكون (مشكلة)
على الفرد نفسه، وعلى أسرته، وعلى المجتمع ككل وهذا ما
يشكو منه الأوروبيون والأمريكيون اليوم: ازدياد أعداد
المسنين والمسنيات بنسبة كبيرة، بازدياد الوعى الصحى،
والتقدم الطبى، وتوفير الرعاية، وتطلع الأفراد إلى المزيد من
طول الحياة، حتى إنهم ليبحثون عن الأدوية التى تقاوم
الشيخوخة، ولا يعلمون أن فى ذلك - لو نجحوا فيه - خطراً
على الأجيال الصاعدة والواعدة.

ولذا يكون من المهم أن يدعو الإنسان ربه : ألا يرد إلى أرذل العمر، حتى لا يحتاج إلى الآخرين، ويمسى حملاً ثقيلاً عليهم، يتمنون موته والتخفف منه .

● الشيخوخة مرحلة ضعف كالطفولة :

الشيخوخة مرحلة ضعف للإنسان، كما أن الطفولة كذلك، وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم حين قال : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم : ٥٤] .

وقد عبر عن هذا الضعف نبي الله زكريا - عليه السلام -
﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم : ٣ ، ٤] .

وقد ذكر القرآن الشيخوخة في مناسبات شتى .
وخصوصاً مع رسل الله الكرام، كما في قصة إبراهيم، الذي ذكر الله تعالى غلى لسانه ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم : ٣٩] .

وقد بين لنا القرآن الكريم شيئاً من قصة البشارة بميلاد

إِسْحَاقَ، حِينَ بَشَّرَتْ الْمَلَائِكَةُ امْرَأَتَهُ بِهِ ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ
وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ قَالَوا
أَتَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ
حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿هود: ٧٢، ٧٣﴾ .

● رعاية الإسلام للشيخوخة:

والناظر فى تعاليم الإسلام وأحكام شريعته، يجد أنه قد
راعى (الشيخوخة) وكبر السن من الناحية المادية، ومن
الناحية المعنوية .

● الكفاية المادية:

فمن الناحية المادية يجب أن يوفر للكبير ما يحتاج إليه،
إلى حد تمام الكفاية من المأكل والمشرب والملبس والمسكن
والعلاج، وإذا كان يحتاج إلى من يخدمه، فالواجب توفير
ذلك له، إما عن طريق الزواج إن كان قادراً عليه، وتائقاً إليه،
أو عن طريق الأجرة .

والواجب أن يتوافر له ذلك عن طريق أبنائه إذا لم يكن
عنده مورد يكفيه، لأن هذا من حق الأبوين على الأبناء، وهو
من الإحسان بالوالدين ومن البر الذى أمر الله تعالى ورسوله
ﷺ به . ومن هنا أوجبت الشريعة نفقة الوالدين المحتاجين على
أبنائهما، كما ينفق على نفسه وزوجه وأولاده .

ولهذا اتفق الفقهاء على أن الأب لا يأخذ من زكاة ابنه عند حاجته، لأن نفقته واجبة عليه، كما تجب عليه نفقة زوجته وأولاده، فهو حين يعطيه الزكاة كأنما يعطيها لنفسه.

وذكر القرآن قصة ذلك الشيخ الكبير في مدين الذي صاهره موسى عليه السلام، وذلك حين ورد ماء مدين ووجد عليه أمة من الناس يسقون ﴿ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدَرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٣]، معنى هذا أن من حق الكبير أن يسعى أولاده ويكدهوا - وإن كانوا بنات - حتى يكفوه أمره، ويوفروا له حاجته، وهذا من موجبات عمل المرأة: حاجة الأسرة.

وجاءت السنة النبوية، فأجازت للأب أن يأخذ من مال ابنه ما يحتاج إليه، ففي الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه عن عائشة رضی الله عنها: أن رجلاً أتى النبي ﷺ يخاصم أباه، في دين عليه، فقال نبي الله ﷺ: «أنت ومالك لأبيك»^(١).

ورواه أبو داود في سننه عن عبد الله بن عمرو أن رجلاً

(١) ذكره في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان برقم (٤١٠).

أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن لى مالا ووالداً، وإن والدى يجتاح مالى: قال: «أنت ومالك لوالدك»^(١).

قال الإمام الخطابي فى (معالم السنن): قوله (يجتاح مالى) معناه يستأصله ويأتى عليه، والعرب تقول: جاحهم الزمان، واجتاحهم إذا أتى على أموالهم، ومنه الجائحة وهى: الآفة التى تصيب المال فتهلكه.

ويشبه أن يكون ما ذكره السائل من اجتياح والده ماله، إنما هو بسبب النفقة عليه، وأن مقدار ما يحتاج إليه للنفقة عليه شىء كثير، لا يسعه عفو ماله والفضل منه، إلا بأن يجتاح أصله، ويأتى عليه، فلم يعذره النبى ﷺ، ولم يرخص له فى ترك النفقة عليه، وقال له: «أنت ومالك لوالدك» على معنى أنه إذا احتاج إلى مالك أخذ منك قدر الحاجة، كما يأخذ من مال نفسه، وإذا لم يكن لك مال وكان لك كسب لزمك أن تكتسب وتنفق عليه، فأما أن يكون أراد به إباحة

(١) رواه أبو داود برقم (٣٥٣٠). وقد رواه أيضاً أحمد فى مسنده (٦٦٧٨) وصححه الشيخ شاکر، وابن ماجه (٢٢٩٢) والطحاوى فى شرح معانى الآثار (٤/١٥٨) وابن الجارود (٩٩٥). وقد روى هذا المتن من حديث جابر وابن مسعود وابن عمر، وسمرة. انظر تخريجه فى حاشية حديث (٤١٠) من الإحسان للشيخ الأرناؤوط.

ماله، وخلاه واعتراضه حتى يجتاحه ويأتى عليه، لا على هذا الوجه، فلا أعلم أحداً ذهب إليه من الفقهاء، والله أعلم^(١).

وعلق أبو حاتم ابن حبان على الحديث الذى رواه عن عائشة « أنت ومالك لأبيك » فقال: معناه أنه ﷺ زجر (الابن) عن معاملته أباه بما يعامل به الأجنيبين، وأمره ببره، والرفق به فى القول والفعل معاً، إلى أن يصل إليه ماله، فقال له: « أنت ومالك لأبيك ».

لا أن مال الابن يملكه الأب فى حياته، من غير طيب نفس من الابن به^(٢) انتهى.

● واجب المجتمع فى الرعاية المادية:

وإذا لم يكن الابن ولا أحد من ورثته قادراً على النفقة عليه، فإن نفقته واجبة على المجتمع من حوله، فإن أهل الحى أو أهل القرية أو العرصة متكافلون، يحمل قويهم ضعيفهم، ويساعد غنيهم فقيرهم حتى لا تبرأ منهم ذمة الله وذمة رسوله، وفى الحديث: « ليس المؤمن الذى يشبع وجاره جائع إلى جنبه »^(٣).

(١) انظر: معالم السنن للخطابى ج ٥٠/ ١٨٣.

(٢) انظر ابن حبان (١٤٣: ٢) حديث (٤١٠).

(٣) رواد البخارى فى الأدب المفرد والطبرانى والبيهقى.

صحيح الجامع الصغير (٥٣٨٢).

فإذا لم يكن فى المجتمع سعة لمثل ذلك، فالواجب على الدولة أن تهيبء لهذا الشيخ وأمثاله من ذوى الحاجات : ما يكفيه بالمعروف ويغنيه عن السؤال . وقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع، وهو مسؤول عن رعيته »^(١) وقال : « أنا أولى بكل مسلم عن نفسه من ترك مالا فلورثته، ومن ترك ديناً أو ضياءً فإلىّ وعلىّ »^(٢).

والضياءُ: الضائعون، لفقرهم وعدم وجود ما يكفيهم، ولعجزهم عن السعى على أنفسهم، نتيجة الصغر كالأطفال، أو الكبر كالشيوخ والمسنين .

وهذا ليس للمسلمين فحسب، بل هو لكل من يعيش فى ظل المجتمع الإسلامى، مسلماً كان أو غير مسلم .

وقد ذكر الإمام أبو يوسف فى كتابه (الخراج) نص الوثيقة التى صالح عليها خالد بن الوليد - رضى الله عنه - نصارى الحيرة بالعراق وهى تقول :

« وجعلت لهم : أيما شيخ ضعيف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنياً فافتقر، وصار أهل دينه يتصدقون

(١) متفق عليه عن ابن عمر .

(٢) رواه البخارى ج: ٦ / ١٩٥ ومسلم ج: ٣ / ١٢٣٧ وفى السنن

الكبرى ج: ٣ / ٢٠٧ .

عليه: طرحت جزيته، وعيل من بيت مال المسلمين وغياله، ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام»^(١).

وقد كتبت هذه الوثيقة في عهد أبي بكر - رضى الله عنه-، وأقرها، كما أقرها من كان مع خالد من الصحابة - رضى الله عنهم-، ولم يعترض عليها أحد، ومثل هذا يعد إجماعاً.

وفى عهد عمر رأى شيخاً يهودياً يسأل الناس، فأنكر ذلك عمر، وعرف حاجته، فقال: ما أنصفناك إذا أخذنا منك الجزية شاباً وأهملناك شيخاً! ثم أمر خازن بيت المال أن يصرف له، ولأمثاله من بيت مال المسلمين ما يكفيه.

وهذا ما سار عليه خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز، فقد كتب إلى عدى بن أرطاة واليه على البصرة برسالة جاء فيها «وانظر من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنه، وضعفت قوته، وولت عنه المكاسب، فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه» واستشهد لذلك بواقعة عمر مع اليهودى»^(٢).

● توقيف الكبير:

ومن القيم الإسلامية التي نوهت بها السنة النبوية،

(١) الخراج: ١٤٤ طبعة السلفية الثانية.

(٢) الأمور لأبي عبد: ٤٦.

وكثر فيها الأحاديث الشريفة: توقير الكبير وإجلاله والعرفان بحقه وشرفه، كالرحمة بالصغير والرفق به أيضاً.

منها حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا»^(١).

وحديث عبادة بن الصامت: «ليس منا من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه»^(٢) وهنا أيضاً حديث أنس وابن عباس وغيرهما^(٣). وأول ما يتبادر إلى الذهن في معنى الكبير: أنه الكبير في السن، وإن كان يشمل أيضاً الكبير في القدر والمقام. فإن كبر السن يعطى الإنسان قدراً وشرفاً باعتبار ما اكتسبه من تجربة السنين. وقد توارث العرب والأكراد والأترك وغيرهم من الأمم احترام الشيوخ وإجلالهم، بمقتضى الفطرة البشرية، وأكدت ذلك تعاليم الدين، حتى قال بعض الناس: «الشيخ في قومه كالنبي في أمته» ورفع بعضهم على أنه حديث وليس بحديث.

ومن توقير الكبير: التوسعة له في المجلس، والقيام له

(١) رواه أحمد والترمذي والحاكم، وكذلك البخاري في الأدب المفرد وأبو داود. صحيح الجامع الصغير وزيادته (٥٤٤٤).

(٢) رواه أحمد والحاكم وحسنه في صحيح الجامع الصغير (٥٤٤٣).

(٣) روى حديث أنس والترمذي، وحديث ابن عباس أحمد والترمذي والطبراني، كما في صحيح الجامع الصغير (٥٤٤٥).

ليجلس مكانه، وإيثاراً بالنوبة أو بموقعه فى الصف أو .
على غيره مراعاة لضعفه، ونحو ذلك .

ولا سيما إذا كان هذا الشيخ من أهل الخير والصلاح،
كما جاء فى الحديث أن رجلاً قال: يا رسول الله، أى الناس
خير؟ قال: « من طال عمره، وحسن عمله » قال: فأى الناس
شر؟ قال: « من طال عمره، وساء عمله »^(١) .

وقد جاء فى هذا المعنى أكثر من حديث^(٢) .

وقد روى أبو داود عن أبى موسى أن النبى ﷺ قال: « إن
من إجلال الله تعالى: إكرام ذى الشيبة المسلم، وحامل القرآن
غير الغالى فيه، والجافى عنه، وإكرام ذى السلطان
المقسط »^(٣) .

وروى الترمذى عن أنس أن النبى ﷺ قال: « ما أكرم
شاب شيخاً لسنة، إلا قىض الله له من يكرمه عند سنة »^(٤) .

(١) رواه عن أبى بكر الترمذى (٢٣٣١) وقال: حسن صحيح،
والطبرى فى الصغير والأوسط وقال الهيثمى (٣٠٣/١٠) . إسناده جيد .

(٢) مثل حديث أبى هريرة وابن حبان فى صحيحه والبيهقى . انظر
المنتقى من الترغيب والترهيب (٢٠٩٤) .

(٣) حسنه فى صحيح الجامع الصغير (٢١٩٩) ونسبه إلى أبى
عبيد أيضاً .

(٤) رواه الترمذى فى البر والصلة (٢٠٢٣) وقال: حديث غريب .

وقد حسن بعض العلماء هذا الحديث^(١) وضعفه آخرون، ولكنه موافق لسنة الله تعالى في الجزاء، فمن المعلوم أن الجزاء من جنس العمل، وأن البر والعقوق سلف، فمن بر أباه بره أبناءه، ومن عق أباه عقه أبناءه، وكذلك من أكرم الشيوخ في شبابه، هيأ الله من الشباب من يكرمه في شيخوخته.

يؤكد هذا الحديث الآخر: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه»^(٢).

ويحكى أن بعض الشباب تغامزوا على بعض الشيوخ، فأنشأ الشيخ يقول:

يا عائباً للشيوخ من أشر	داخله الصببا ومن بذخ
اذكر إذا شئت أن تعيبهو	جدك، واذكر أباك يا ابن أخي
واعلم بأن الشباب منسلخ	عنك، وما وزره بمنسلخ
من لا يعز الشيوخ لابلغت	يومابه سنه إلى الشيخ

(١) ذكره المناوى في فيض القدير: أن الترمذى حسنه - ولعله في نسخة أخرى، فقد رأينا أنه استغربه - فتبعه أ ط صنف (السيوطى) فرمز لحسنه، ولا يوافق عليه. وذكر أن فيه راويين ضعيفين. (فيض ٤٢٥/٥٠).

(٢) رواه البيهقى عن ابن عمر، والبزار وابن خزيمة والطبرانى عن جرير، والبزار عن أبى هريرة، والحاكم عن جابر وغيرهم، وحسنه فى صحيح الجامع الصغير (٢٦٩).

● من أحكام الشيخوخة :

ومن أحكام الشيخوخة التي جاء بها الإسلام : أنه نهى عن قتل الشيوخ في الحرب كما نهى عن قتل النساء والأطفال، لأنهم لا يشاركون في الحرب، وقد أنكر النبي ﷺ على أصحابه حين وجد امرأة مقتولة في إحدى الغزوات، فقال: ما كانت هذه لتقاتل^(١)!

فلو كان الشيخ يقاتل أو كان يشارك في الحرب برأيه وتدبيره جاز قتله، فإن الرأي في الحرب قد يكون أشد من السيف والرمح.

ومن أحكام الشيخوخة أن الشيوخ يعفون من الهجرة من البلاد التي يضطهدون فيها، ما داموا لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا، شأنهم ككل المستضعفين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٧-٩٩].

(١) رواه أحمد في مسنده ج(٣): ٤٨٨، ورواه أبو داود برقم (٢٦٦٩) في الجهاد.

بل نجد القرآن يستحث الأمة على القتال وشن الحرب لاستنقاذ المستضعفين من الظلم والاضطهاد، وفي مقدمتهم الشيوخ، يقول تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥].

● من شاب في الإسلام:

ولقد نوه النبي ﷺ بمن شاب في الإسلام، بمعنى أنه أنفق شبابه وكهولته في الإسلام أو في سبيل الله، حتى أدركه الشيب. فقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه عنه كعب بن مرة «من شاب شيبته في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة»^(١).

وروى عنه عمرو بن عبس: «من شاب شيبته في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة»^(٢).

(١) رواه الترمذى فى الجهاد (١٦٣٤) وقال: حديث حسن، ورواه ابن حبان عن عمر بن الخطاب (٢٩٨٣).

(٢) رواه الترمذى فى الجهاد (١٦٣٤) وقال: حسن صحيح. وقد رواه أحمد عن أبى نجيح السلمى (١١٣/٤) والنسائى (٢٦/٦) وابن حبان (٢٩٨٤).

فهذا الحديث خاص بمن شاب فى سبيل الله أى فى
الجهاد، والحديث قبله عام لكل من شاب فى الإسلام.

● شرعية خضاب الشيب :

وقد شرع النبى ﷺ لأهل الشيب أن يغيروا شيبهم
بالخضاب، وخصوصاً بغير السواد، وقال: «إن اليهود
والنصارى لا يصبغون (يعنى الشيب) فخالقوهم»^(١).

وفى حديث آخر: «غيروا الشيب، ولا تشبهوا باليهود
والنصارى»^(٢).

وقال: «إن أحسن ما غيرتم به الشيب: الحناء
والكتم»^(٣) والكتم: نبت فيه حمرة إذا خلط بالحناء كان
أقرب إلى السواد.

وعن أنس بن مالك قال: جاء أبو بكر بأبى قحافة
(والده) إلى رسول الله ﷺ يوم فتح مكة، فقال رسول الله ﷺ

(١) رواه البخارى عن أبى هريرة (٥٨٩٩) ومسلم (٢١٠٣) كما
رواه أحمد وأبو داود والنسائى والترمذى وابن حبان.

(٢) رواه عن أبى هريرة أحمد (٢/٢٦١) وابن حبان صحيحة
(الإحسان: ٥٤٧٣).

(٣) رواه عن أبى ذر عبد الرزاق (٢٠١٧٤) وأحمد (١٧٤/٥)،
١٥٠ (وأبو داود (٤٢٠٥) والترمذى (١٧٥٣) وقال: حسن صحيح.

لأبى بكر: « لو أقررت الشيخ فى بيته لأتيناها » تكرمة لأبى بكر، قال: فأسلم، ورأسه ولحيته كالثغامة بيضاء، فقال رسول الله ﷺ: « غيروهما (أى رأسه ولحيته) واجتنبوا السواد »^(١) والثغامة: نبت أبيض الزهر والثمر، شبه الشيب به لشدة بياضه.

(١) ذكره فى الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان برقم (٤١٠).

● حق الشيخ على أسرته:

وإذا كان للشيخ على مجتمعهم حقوق مؤكدة، فإن لهم على أسرهم حقوقاً أوثق وأؤكد، وخصوصاً حقوق الآباء والأمهات على الأولاد.

فقد أوصى الإسلام وبالغ فى الوصية بالوالدين، واعتبر ذلك من أصول الفضائل التى اشتركت فيها كل الأديان، واتفق عليها أهل الرسالات الإلهية. حتى اعتبر القرآن حق الوالدين بعد حق الله تعالى مباشرة، وهو يذكر الإحسان بالوالدين عقب الأمر بالتوحيد، كما فى قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦].

(١) رواه أحمد عن أنس (٣/١٦٠) وابن حبان (٥٤٧٢) والحاكم (٣/٢٤٤) وصححه على شرط الشيخين، وقال الذهبى: على شرط البخارى محقق الإحسان: والصواب أنه على شرط مسلم والحديث فى صحيح مسلم مختصراً عن جابر (٢١٠٢).

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾
[الإسراء: ٢٣].

﴿ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ [لقمان: ١٤].

وأكد القرآن حق الوالدين إذا بلغا الكبر ووصلا إلى الشيخوخة، وهنا شدد في الوصية، وأبلغ في التحذير ﴿إِمَّا يَلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَهَرَّهْمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٣]، [٢٤].

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿إِمَّا يَلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ﴾ فهما في هذه الحالة أصبحا (عند أولادهما) لا عند أنفسهما، كأنما أصبحا وديعة أو أمانة عند الأولاد. وفي هذه الحالة تكون حساسية الأبوين بالغة الحدة، لشعور كل منهما بأن الأولاد لم يعودوا في حاجة إليهما، وإنما ربما صاروا عبئاً عليهم، ولا سيما إذا كان للأولاد زوجات، قد يظنن بالآباء والأمهات.

وهذه الحالة النفسية تجعل الأب أو الأم في غاية من الحساسية المفرطة، بتأثر بأدنى كلمة، قد تجرح شعوره أو بالتصرفات، التي قد لا يلقي الابن أو الابنة لها بالاً.

وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ جَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفًّا وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ جاء عن علي - رضى الله عنه - قوله: لو علم فى العقوق شيئاً أدنى من (أف) لحرمه!

وكلمة «أف» تعبير عن التبرم والتضجر. أما السب أو الشتم ونحوه، فهو من أكبر الكبائر فى الإسلام. ففى الحديث المتفق عليه «إن من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه» قالوا: وكيف يسب الرجل والديه يا رسول الله؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل، فيسب أباه ويسب أمه، فيسب أمه.

فهو لم يواجههما بالسب واللعن، ولكن تسبب فى لعنهما وسبهما، حين سب آباء الآخرين وأمهاتهم، فردوا على سبه بمثله، فما بالك بمن يواجه أباه أو أمه بالسب؟!!

ويعتبر الإسلام وجود الأب أو الأم فى حالة الكبر عند الابن فرصة لاكتساب المغفرة ودخول الجنة، ورضوان الله تعالى. فمن ضيع هذه الفرصة على نفسه فقد فاته خير كثير.

يقول الرسول ﷺ: «رغم أنفه، ثم رغم أنفه قيل: من يا رسول الله؟ قال: من أدرك والديه عند الكبر: أحدهما أو كليهما، ثم لم يدخل الجنة»^(١).

(١) رواه مسلم عن أبى هريرة فى كتاب البر من صحيحين (٢٥٥١) ورواه أحمد أيضاً صحيح الجامع الصغير (٣٥١١).

قال الإمام القرطبي في تفسيره للآية الكريمة ﴿إِمَّا يَلْفَنُ
عِنْدَكَ الْكِبَرَ﴾:

« خص حالة الكبر لأنها الحالة التي يحتاجان فيها إلى
بره لتغيير الحال عليهما بالضعف والكبر، فألزم في هذه الحالة
من مراعاة أحوالهما أكثر مما ألزمه من قبل، لأنهما في هذه
الحالة قد صارا كلا عليه، فيحتاجان أن يلي منهما في الكبر
ما كان يحتاج في صغره أن يلي منه، فلذلك خص هذه الحالة
بالذكر. وأيضاً فطول المكث للمراء يوجب الاستثقال للمراء
عادة، ويحصل الملل، ويكثر الضجر، فيظهر غضبه على أبويه،
وتنتفخ لهما أوداجه، ويستطيل عليهما بدالة البنوة، وقلة
الديانة، وأقل المكروه ما يظهره بتنفسه المتردد من الضجر. وقد
أمر أن يقابلهما بالقول الموصوف بالكرامة، وهو السالم عن
كل عيب فقال: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا
قَوْلًا كَرِيمًا﴾ انتهى (١).

والتأمل في النص القرآني هنا، يجده قد اشتمل على
نهيين وثلاثة أوامر:

أما النهيان فهما قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا
تَنْهَرُهُمَا﴾.

(١) تفسير القرطبي: ١٠/٢٤١ طبعة دار الكتب بالقاهرة.

وأما الأوامر فتتضمن:

١ - القول الكريم لهما ﴿ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ وهو القول اللين اللطيف، الذى يتضمن الإجلال والتوقير والرحمة والحب، مثل: يا أبتاه، يا أمه، كما قال إبراهيم لأبيه رغم كفره وشركه: ﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴾ [مريم: ٤٢] وكرر هذه الكلمة عدة مرات «يا أبت».

٢ - والثانى خفض جناح الذل من الرحمة ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ وقد جاء فى القرآن خطاب للنبي ﷺ فى معاملة المؤمنين كافة فقال: ﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٥] وهنا لم يكتف بالأمر بخفض الجناح، بل (جناح الذل) وهذا الخفض ليس من ضعة ولا هوان، ولكن من الرحمة.

ونحن نجد القرآن الكريم لم يمدح الذل إلا فى موضعين: ذل الإنسان لأبوية الكبيرين، وذله على إخوانه المؤمنين ﴿ أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [المائدة: ٥٤] والمراد بالكافرين هنا المحاربون، المناوئون للإسلام بدليل ذكر الجهاد، وبدليل سياق الآية نفسها فى مقاومة المرتدين.

٣ - الدعاء لهما بالرحمة ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا

رَبِّيَ صَغِيرًا ﴿﴾ فهذا الدعاء من الابن مكافأة أدبية، مقابل التربية في الصغر، أن يدعو الله لهما بالرحمة في الكبر.
بر الوالدين ولو كانا مشركين:

ومن روائع ما جاء به الإسلام: أنه أمر ببر الوالدين، وحرص عليه، وزجر عن العقوق والجفاء، ولو كان الوالدان مشركين، بل لو كانا مصرين على الشرك، مستميتين في فتنة ولدهما عن الإسلام، بكل ما يستطيعان من قوة وحيلة وتأثير، حتى عبر القرآن عن هذه المحاولة بالجهاد على الشِّركِ . وهو ما عبرت عنه سورة لقمان في قوله تعالى: ﴿﴾ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير * وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من آتاك من آتاك إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ﴿﴾ [لقمان: ١٤، ١٥].

فنهى عن طاعتهما في قبول الشرك، وأمر بمصاحبتهما بالمعروف. وهذه قمة في أدب البنوة مع الأبوة والأمومة، وإن اختلف الدين.

وروى الشيخان عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت للنبي ﷺ: أن أمي جاءتني وهي مشركة، وهي راغبة (أى في صلتها) أفصل أمي؟ قال: «نعم صلى أمك».

ولهذا تميز مجتمعنا المسلم عن مجتمع الحضارة الغربية

المعاصرة بهذا البر الفريد للآباء والأمهات، على خلاف المجتمع الغربي الحديث، الذى لا يكاد يرى فيه الابن والبنت أبويهما بعد البلوغ، إلا بالمصادفة، وقد تمر سنوات ولا يرى بعضهم الآخر.

وقد يعيش بعضهم فى حالة الكبر فى بيته، لا يزوره أحد، ولا يسأل عنه أحد، ولا يهتم به أحد، لذا كانت الشيخوخة هناك موحشة أشد الإيحاء، وإن توافرت لصاحبها الحاجات المادية، ولهذا حرص الناس هناك على اقتناء الكلاب، لتعوضهم عن أبنائهم وبناتهم الذين لم يعودوا يرونهم أو يسمعون صوتهم، فلا غرو أن احتاجوا إلى تخصيص يوم للأم أو للأب، يسمي عيد الأم أو عيد الأب. والمفروض أن تكون كل أيامهم أعياداً.

وقد حدثنى بعض الإخوة فى أمريكا إن امرأة ماتت فى شقتها، ولم يعلم أحد بموتها، إلا أن جيرانها شموا رائحة كريهة تنبعث من الداخل، فأبلغوا الشرطة، ففتحو المنزل، ووجدوا المرأة قد ماتت منذ عدة أيام، وأن جثتها أصبحت رمة متعفنة، ثم عرفوا أن لها أبناء وبنات وأحفاداً فى مناصب جيدة، ولكنها لم تر منهم أحداً، ولعلها احتاجت إلى شربة ماء فلم تجد من يقدمها لها، أو احتاجت إلى إسعاف فلم تجد من يسعفها.

وربما كان بعض الناس أحسن حظاً من هذه العجوز،

فانتقل إلى دار العجزة والمسنين، ليقضى أيامه الأخير فيها مع مثله. ولكن عاطفة الأمومة والأبوة لا يشبعها الطعام والشراب الذي يجدهما المسن في تلك الدار، فإن الشوق إلى فلذات الأكباد من الأولاد والأحفاد لا يطفئه شيء إلى اللقاء والأنس، والابتهاج المشترك بالحياة. كما أن من حق الأطفال والأجيال الناشئة، أن يعايشوا أجدادهم، ويأنسوا بهم، ويستمعوا لحكاياتهم، ويستفيدوا من تجاربهم، وإلا تنقطع الصلة بين الجيلين. ولهذا سمي القرآن الجد أبا، كما في قول يوسف عليه السلام: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٣٨] وإبراهيم وإسحق جداه.

والناس يقولون في أمثالهم السائرة: أعز من الولد ولد. فكيف نحرم الجد والجدة من السعادة والتمتع بما يعتبرونه أعز من الأولاد، وهو من ذرية الإنسان التي تفر عينه بها، والتي يدعو الله لها بالسعادة والتوفيق، كما دعا إبراهيم لذريته حين قال: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مَقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠].

ودعا بها عباد الرحمن: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

وأنا أرجو من أبنائنا وبناتنا في مجتمعاتنا الإسلامية: أن يظلوا متمسكين بقيمهم الأصيلة، وبتراطيب الأسرة الوثيق،

وتوادها العميق، الأسرة بمعناها الإسلامى : الأسرة الموسعة والممتدة . لتشمل الآباء والأمهات، والإخوة والأخوات، بل الأعمام والعمات، والأخوال والخالات، وأولادهم، كما قال تعالى : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ [الأنفال: ٧٥] وقال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١] ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ [النحل: ٩٠] ﴿ وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾ [الإسراء: ٢٦] ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّهِ وَاللَّذِينَ الْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾ [البقرة: ٢١٥] .

تحذير الإسلام من العقوق :

إن العقوق من أسوأ الرذائل، التى يصاب بها الأفراد، وتبتلى بها المجتمعات، لأن حق الأبوين على الإنسان حق معروف بالفطرة، مؤكد بالشرع . فالطفولة البشرية أطول أنواع الطفولة، ويقاسى فيها الأبوان الكثير، حتى يكبر الولد ويستقل بنفسه .

والأم تعانى أكثر من الأب، لأنها هى التى تحمله كرها، وتضعه كرها، وترضعه وتربيته، كما أشار إلى ذلك القرآن ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّالَهُ فِي سَامِيٍّ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ [لقمان: ١٤] .

وفي سورة أخري يقول: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ
إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرهًا وَوَضَعَتْهُ كَرهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ
شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥].

ولهذا قال بعض علماء الإسلام: إن للأم ثلثي البر،
وللأب الثلث.

وقال آخرون: بل لها ثلاثة أرباع البر، وللأب الربع.

وهذا القول يؤيده حديث أبي هريرة في الصحيحين
فيمن سأل النبي ﷺ: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال:
«أمك». قال: ثم من؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال:
«أمك». قال: ثم من؟ قال: «أبوك».

وذكر ابن كثير - في تفسيره عن البزار - أن رجلاً
كان يطوف بالبيت الحرام، وهو حامل أمه، فقال للرسول ﷺ:
هل أديت حقها؟ قال: «ولا بزفرة واحدة» أي: زفرات الطلق
وآلام الوضع.

ويحكى: أن رجلاً جاء إلى عمر - رضى الله عنه -،
وقال له: يا أمير المؤمنين، لقد بلغ من برى بأمرى أنها لا تقضى
حاجتها إلا وظهرى لها مطية، فأنا أعمل لها فى الكبر ما كانت
تعمل لى فى الصغر، فهل أديت حقها؟ قال: لا. إنها كانت
تفعل بك ذلك، وهى ترجو لك عمراً طويلاً، وأنت تفعل
ذلك بها، وتنتظر موتها غداً أو بعد غدا!

ولقد اعتبر رسول الإسلام العقوق من أكبر كبائر الذنوب
والخطايا، وأعلن أن العاق لا يدخل الجنة، ولا يجد ريحها.
وقد رأينا الشعراء من قديم يشتكون من عقوق الأبناء،
من ذلك ما ينسب إلى أمية ابن أبي الصلت، يخاطب ابنه :

غدوتك مولودا وعلتك يافعا
تعل بما أسدى إليك وتنهل
إذا ليلة نابتك بالشجو لم أبت
لشكواك إلا ساهرا أتململ
كأنى أنا المطروق دونك بالذى
أصبت به دونى، فعينى تهمل
فلما بلغت السن والغاية التى
إليها مدى ما كنت فيك أو مل
جعلت جزائى غلظة وفضاظة
كأنك أنت المنعم المتفضل
فليستك إذ لم ترع حق أبوتى
فعلت كما الجار المجاور يفعل

إن العقوق للأبوين دناءة فى عرف الناس، ورذيلة فى نظر
الأخلاق، وكبيرة فى نظر الدين، ولكنه يكون أشد سوءا
ونكراً حين يكون الأبوان فى حال الشيخوخة.

* * *

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة.....
	حقوق الشيوخ والمسنين فى ضوء شريعة الإسلام
٤	– الشيخوخة مرحلة طبيعية.....
٥	الرد إلى أرذل العمر.....
٨	الشيخوخة مرحلة ضعف كالطفولة.....
٩	رعاية الإسلام للشيخوخة.....
٩	الكفاية المادية.....
١٢	واجب المجتمع فى الكفاية المادية.....
١٤	توفير الكبير.....
١٨	من أحكام الشيخوخة.....
١٩	من شاب فى الإسلام.....
٢٠	شرعية خضاب الشيب.....
٢١	حقوق الشيخ على أسرته.....
٣٢	الفهرس.....

رقم الايداع ٢٠٠٤/١٩٧٧

I.S.B.N. الترقيم الدولى

977-225-181-7